اللغة
العربية
وآدابها

في أدوات التحضيض

د. سعد حسن حمودة
مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية التربية - جامعة المنصورة

فى أدوات التحضيض

د. سعد حسن حمودة

المحتويات

اللغة العربية وآدابها (١)

- في أذوات التحضيض
  د. سعد حسن حمودة ٣
- الطيف في شعر البحتري "الصور والدلالات"
  د. ناهد أحمد السيد الشعراوي ٣٥
- المفارقة في أدب طه حسين "دراسة في جنة الشوك"
  د. نجوى محمد حسين صابر ٧٣
- من المنظور النفسي في الإبداع "التغريب في القصيدة الشعرية الحديثة محورا"
  د. نصر عباس ١١٣

التـــاريـخ (١٤٧)

- كردستان العراق : "علاقات العشائر بالسلطة ١٩٠٨- ١٩١٤"
  د. خالد السعدون ١٤٩
- الأسس التي اعتمد عليها الأمويون لإثبات حقهم في الخلافة
  د. زرين مرزوق المعايطة ١٨٣
- علاقة الكويت بالدولة العثمانية "منذ النشأة حتى عام ١٢٨٩هـ /١٨٧٢م"
  د. فيصل عبد الله الكندري ٢٠٣
- المساعدات الاقتصادية بين دول الشرق الأدنى القديم وأبعادها السياسية والإنسانية
  د. وفاء أحمد السيد بدار ٢٣٣

الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية (٢٦٣)

- اللغات فى العالم من منظور جغرافى
أ.د. محمد خميس الزوكة ٢٦٥

- التطور الجيومورفولوجى لمنطقة مصب رشيد خلال القرن العشرين
د. ممدوح تهامى عقل ٢٩٩

علم الإجتماع (٣٨٧)

- إرتداء الحجاب ونسق الضبط الاجتماعى فى المجتمع الريفى والحضرى
"دراسة سوسيو أنثروبولوجية بين الطالبات الجامعيات"
د. فاتن محمد عبد الغفار شريف ٣٨٩

الأنثروبولوجيا (٣٤٥)

- الجريمة والسلوك الإنحرافى فى ظل العولمة الثقافية
"دراسة أنثروبولوجية لجرائم الإنترنت"
د. مصطفى عمر حمادة ٤٤٧

مراجعات الكتب: (٤٩٣)

- الصناعات الغذائية فى مصر: تحليل فى التنظيم المكانى والتركيب والأداء
عرض أ.د. محمد إبراهيم رمضان ٤٩٣

- النظرية السياسية التسوية
عرض أ. هانى خميس أحمد عبده ٥٠٨

مجلة كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

مستشارو التحرير

أ.د. لطفى عبد الوهاب يحيى

أ.د. عمر عبد العزيز عمر

أ.د. محمد على الكردى

أ.د. فتحى محمد أبو عيانة

أ.د. محمد أحمد بيومى

أ.د. خليل حلمى السيد خليل

أ.د. محمد عباس إبراهيم

أ.د. أولجا مطر محمد غازى

سكرتير التحرير

الآنسة/ شيرين لطفى

إشراف وإخراج فنى

عبد الفتاح محمود الحضرى

الرئيس

أ.د/ جمال محمود حجر

عميد الكلية

نائب الرئيس ورئيس التحرير

أ.د/ محمود أحمد نحلة

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

تقدم البحوث وتوجه جميع المراسلات

باسم الأستاذ الدكتور/ وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الشاطبـــــى – الإسكندريـــــة

جمهورية مصر العربية

افتتاحية العدد

بين يدي القارئ العزيز العدد الثالث والخمسون من مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية في ثوبها الجديد الذي بدأناه مع العدد الأول بعد الخمسين.

وتصادف الإعداد لإخراج هذا العدد مع تعييني عميداً للكلية، وما ترتب على ذلك من إعادة ترتيب الأمور فتحملت مسئولية رئاسة مجلس الإدارة إلى جانب رئاسة التحرير، وهو ما تسبب في تأخير صدور هذا العدد لبعض الوقت، وإذ أقدم اعتذاري عن هذا التأخير للزملاء الذين ساهموا في إثراء هذا العدد بمقالاتهم، وللقراء الذين كانوا ينتظرونه في موعده، فإنني أعد الجميع أن العدد التالي سيصدر في موعده تحت إشراف أ.د. محمود أحمد نحلة وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث ورئيس التحرير.

وتواكب مع الإعداد لهذا العدد صدور عدد من الإصدارات الخاصة التي تخضع لذات المعايير التي تخضع لها المجلة الأم في التقويم والإعداد والنشر.

وفي هذا العدد أربع عشرة مقالة، منها أربع مقالات في اللغة العربية وآدابها، وأربع مقالات في التاريخ، ومقالتين في الجغرافيا، ومقالة في علم الاجتماع وأخرى في الأنثروبولوجيا، وواحدة في اللغة الإنجليزية، وأخرى في الأدب الفرنسي.

وشارك في إثراء هذا العدد كوكبة تمثل الجامعات العربية والمصرية فضلاً عن أهل البيت من كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

والمجلة إذ ترحب بمشاركة الزملاء من كافة الجامعات المصرية والعربية لتؤكد للجميع أنها حريصة كل الحرص على المحافظة على معايير الجودة لتخرج كعهدنا بها بالصورة المناسبة مظهراً ومخبراً.

والله الموفق

أ.د. جمال محمود حجر

المقدمـــة

تناول النحاة حروف الحض في مصنفاتهم على أنها تقدم دلالات معينة في السياق، وقد ألمحوا إلى هذه الدلالات من خلال النماذج التي قدموها، وإن كنت أرى أن إشاراتهم إلى استعمالاتها إشارات سريعة، لم تتوقف عند المبنى والمعنى، بحيث تجلو لنا جوانب مهمة تزيد الدرس عمقا، وتثري ما قد يترتب على ذلك من فوائد تتصل بنتائج الدرس.

أقول هذا ، لأنني رأيت من صنيع النحاة ما قد يلفت إلى ظاهر الوصف، وهم يتكلمون عن أدوات الحض، وربما عن الأدوات بشكل عام. وأسارع فأقول إن هذا ليس استدراكا على النحاة ، ولا هو من قبيل المأخذ، وإنما قد يكون من قبيل الاقتراح ، أو النظر، الذي يدعو إلى تأصيل بعض الدرس النحوي من خلال النصوص القرآنية، واجتهادات المفسرين في مسائل التأويل والتفسير.

ولول ما رأيته في حاجة إلى مثل هذا التأصيل بحثنا الذي نحن بصدده ، إذ من المفسرين من وقف على ما لم يلتفت إليه النحاة، مع أنه متصل اتصالاً وثيقاً بمباني هذه الأدوات ومعانيها.

والحق أن الأدوات التي نقدمها، ليست متصورة على معنى الحض حسب، وإنما لها معان أخرى يحددها مجئ الأفعال بعدها ، صيغة وزمنا . هذه المعاني مجتمعة ، لم نشأ أن ندخلها في حساب الدرس، حتى لا يأخذ شكلاً آخر غير كونه بحثاً يُعدّ للنشر. ومن ثم كان العمل متضمناً معنى الحض فقط.

وجاء هذا العمل وفق التقسيم التالي :

أولاً : مدخل إلى البحث يهدف إلى بيان علاقة الحضض - مصطلحا - وما يصدر عنه من أصل لغوي ، ثم إشارة سريعة إلى آراء النحاة والمفسرين في تركيب أدوات الحض ، مع عرض موجز للرأيين.

ثانياً : المبحث الأول "ألا".

ثالثا : المبحث الثاني "لولا".

رابعا : المبحث الثالث : أ - "لوما".

ب - "هلا".

ثم بعد ذلك خاتمة تلخص أهم نتائج البحث في واقعها الطبيعي. ينتهي هذا البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها هذا العمل.

مدخل

يبدو أن مصطلح الحض يصدر عن أصل لغوي ، وذلك لالتقاء المعنى المعجمي بما تواضع عليه النحاة في استعمالاتهم للأدوات التي جعلوها لهذا المعنى. والذي يؤكد هذا أن مادة (حضّ) تدل – فيما تدل عليه – على الحث والإحماء[١]. وهذا ما قال به النحاة ، السابق منهم واللاحق. يقول ابن الحاجب: "حروف التحضيض: هلا ، وألا، ولولا، ولوما ، لها صدر الكلام .."[٢] . ويقول الاستراباذي معلقا على هذا: ".. ومعناها في المضارع الحض على الفعل والطلب له." [٣]. ويقول ابن يعيش: "وحيث حصل فيها معنى التحضيض، وهو الحث على إيجاد الفعل وطلبه ، جرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعال."[٤]، ولكن ابن هشام يضيف مصطلحا آخر في معنى الحض ، يسميه عرْضا ، فيقول : "العرْض والتحضيض ومعناهما : طلب الشئ ، ولكن العرْض طلب بلين ، والتحضيض طلبٌ بحثّ ."[٥] ويقول ابن عقيل: "وإن قصدت بهما[٦]

---

(١) القاموس المحيط مادة "حضّ" .
(٢) الكافية : ٣٨٧/٢ .
(٣) الكافية : ٣٨٧/٢ .
(٤) شرح المفصل: ١٤٤/٨ .
(٥) المغني: ٦٩/١ .
(٦) يقصد لولا ولوما .

الحث على الفعل كان مستقبلاً بمنزلة فعل الأمر."[٧] ثم يقول : "وبقية أدوات التحضيض حكمها كذلك."[٨]

ويرى ابن يعيش أن هذه الأدوات"مركبة ، تدل مفرداتها على معنى، وبالضم والتركيب تدل على معنى آخر، لم يكن لها قبل التركيب."[٩] وعلى ما ذهب إليه تكون:

"لولا" مركبة من:

لو ← التي معناها امتناع الشئ لامتناع غيره
ولا ← النفي

"لوما" مركبة من :

لو + ما

"هلا" مركبة من :

هل + لا

"ألا" مركبة من :

أن + لا[١٠]

خلاصة مذهب النحويين في حروف التحضيض، أن التحضيض يكون على شئ لم يقع بعد، من قبل أنه حث"على إيجاد الفعل وطلبه"[١١]. ولذلك جرت هذه الحروف مجرى حروف الشرط "في اقتضائها الأفعال ، فلا يقع بعدها مبتدأ ولا غيره من الأسماء"[١٢]

ولكن الشيخ الرازي له رأي يخالف به قول ابن يعيش في تركيب هذه

---

(٧) شرح ابن عقيل : ٣٩٤/٢ .
(٨) شرح ابن عقيل : ٣٩٤/٢ .
(٩) شرح المفصل ١٤٤/٨ والمقتضب : ١٦/٣.
(١٠) انظر : شرح المفصل : ١٤٤/٨ .
(١١) شرح المفصل : ١٤٤/٨ .
(١٢) شرح المفصل : ١٤٤/٨ .

الأدوات، وما يترتب عليه من معنى. هذا الرأى قائم على أن معنى هذه الأدوات بعد التركيب موصول السبب بجزئي التركيب قبل ضمهما في كل أداه على النحو الذي رأينا . خلاصة رأى الشيخ كما يلى :

أولا :"هلا" كلمتان : أ – "هل" وهو استفهام وعَرْض ، لأنك إذا قلت للرجل هلى تأكل ؟ هل تدخل ؟ فكأنك عرضت عليه ذلك .

ب- "لا" وهو جحد .

وعلى ذلك تكون "هلا" مركبة من : العرض + الجحد .

"فهلا فعلت كذا ؟ كأنك قلت : هل فعلت ؟ ثم قلت معه "لا" ، أى : ما فعلته ، ففيه تنبيه على : - وجوب الفعل .

- وعلى الإخلال بهذا الواجب(١٣) .

فمن هنا كان الحض على ما يلزم فعله ، وعلى عدم الإخلال به ، ومن هنا أيضا كان ينقاسّ على هلا معنى الحض.

ثانيا :"لولا". مركبة مما أصله : لِمَ + لا . معنى التركيب التحضيض والحث.

فإذا قلت : لِمَ لا أكلت ؟

ولِمَ ما أكلت ؟

جاز الاستفهامان . ويكون المعنى حينئذ : لا علة لعدم الأكل، ولا يمكن ذكر علة له، كما نقول: لِمَ فعلت ؟ مويخا ، يكون معناه فعلت أمرا لا سبب له ولا يمكنك ذكر سبب له، ثم إنهم تركوا حرف الاستفهام عن العلة(١٤) وأتوا بحرف الاستفهام عن الحكم، فقالوا : هلا فعلت؟. كما يقولون في موضع: لِمَ فعلت هذا وانت تعلم فساده، أتفعل هذا وانت عاقل؟ وفيه زيادة حيث، لأن قول القائل :

---

(١٣) أنظر هذا في مفاتيح الغيب : ١٨٠/١٦ .
(١٤) يقصد "لِمَ" .

لِمَ فعلتَ حقيقته سؤال عن العلة ، فالعلة غير معلومة وغير ظاهرة ، فلا يجوز ظهور وجوده.

وقوله: أفعلتَ؟ سؤال عن حقيقته ، ومعناه أنه في جنسه غير ممكن[١٥] وعلى ذلك نقول :

إن القائل : لِمَ فعلتَ ؟ مع العلم بما فيه دليل الإصابة في الفعل لعلة خفية تُطلب منه .

وغير ذلك المعنى قول من يقول : أفعلتَ مع العلم بما فيه ، دليل الخطأ في أول الأمر .

ولذلك يقول الرازي : "وإذا علم ما بين : لِمَ فعلت وأفعلت ؟ ، علم ما بين : لِمَ تفعل وهلا تفعل ."[١٦]

ثم يقول الرازي عن "لولا" : "لولا تدل على الاعتساف ، وتزيد نفي النظر والتوانى لأنه أدل على نفي ما دخلت عليه ... وفيه لطيفة ، وهي أن "لولا" تدخل على فعل ماض على مستقبل .."[١٧]

إن هذا المعنى ربما يفسر لنا كثرة مجئ لولا في النص الكريم بمعنى الحض .

ثالثا : يُجمل الرازي تركيب أدوات التحضيض في قوله : "ويمكن أن يقال : أصل الكلمات لِمَ لا ، على السؤال ، كما يقول القائل : إن كنت صادقاً فلِمَ لا يظهر صدقك؟ ثم إنما قلنا: الأصل : لِمَ ، لكونه استفهاما أشبه قولنا هلا ."[١٨] ثم يذكر الرازي الحكمة في هذا . فيقول : "وهي – أي الحكمة – أن النافي والناهي

(١٥) مفاتيح الغيب : ١٥٣/٢٩ بتصرف .
(١٦) مفاتيح الغيب : ١٥٣/٢٩ .
(١٧) مفاتيح الغيب : ١٥٣/٢٩ .
(١٨) مفاتيح الغيب : ١٧٢/٢٩ .

لا يأمر أن يكذب المخاطب، فعرض بالنفي لئلا يحتاج إلى بيان النفي. إذ أثبت هذا فالاستفهام"بهل" لإنكار الفعل، والاستفهام بـ(لم) لإنكار سببه."(١٩)

هكذا نرى تركيب هذه الأدوات متصلا اتصالاً وثيقاً بمفرداتها قبل التركيب وليس كما زعم النحاة. لأن أبيات الحض التي جئنا بها في الدراسة تثبت ذلك ولا تبتعد عنه .

(١٩) مفاتيح الغيب : ١٧٢/٢٩ .

المبحث الأول

"ألا"

"ألا" حرف تتعدد دلالاته وفق السياقات، بين أن يكون تنبيها، أو استفتاحا، أو حضا وعرضا. لكن وجهة الدرس- إن شاء الله - ستكون مقصورة على معنى العرض والحض في هذا الحرف، وفي غيره من حروف الحض.

استعمالات هذا الحرف في القرآن الكريم كثيرة. ولكن يبدو أن استعماله لمعنى الحض، فيه شئ من الندرة. هكذا بدا لي الأمر. على أية حال، هذا ما وقع عليه النظر وأنا أتابع في كثير من سور القرآن الكريم.

يقول الله تعالى :

(ألا إنّ نصرَ الله قريب) [البقرة ٢١٢٤]

(ألا تُحبُّون أن يَغفِرَ اللهُ لكمْ) [النور ٢٢]

(ألا تقاتِلونَ قومًا نكثوا أيمانَهُم) [التوبة ٢٣]

بتحليل هذه النصوص نجد استعمالات "ألا"- حرفا للتحضيض- على هذا النحو:

(ألا + جملة اسمية منسوخة بحرف)

(ألا + جملة فعلية) الجملة الفعلية ، مفعولها يؤول بمصدر

(الا + جملة فعلية) المفعول فيها صريح

وعن قول الله عز وجل : (ألا إن نصر الله قريب) .

يقول الزمخشري: "على إرادة القول، يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر."[1] فهذا- في رأيي- حض على الثبات والتصبر، إذ لا شك في مجئ النصر، لأنه قول رسول. وإن كان رأى الجمهور على أن "ألا"حرف استفتاح في هذه الآية.

---

(١) الكشاف : ٢٥٧/١ .

يؤكد كلام الزمخشري – ولعله يؤكد ما ذهبت إليه من كون "ألا" حضا – قول الشيخ الرازي: "فتقدير الآية: هكذا كانت حالهم إلى أن أتاهم نصر الله ولم يغيرهم طول البلاء عن دينهم، وأنتم يا معشر المسلمين كونوا على ذلك وتحملوا الأذى والمشقة في طلب الحق، فإن نصر الله قريب، لأنه آت، وكل ما هو آت قريب."[٢] ألا يدل هذا على معنى الحض؟ أليس من قبيل الحث على التذرع بالصبر إدراكا للفوز بالنصر؟.

قلنا في تحليل هذه الآية الكريم إنّ :

"ألا" + جملة اسمية منسوخة بحرف

ولكن مذهب النحويين في حروف الحض، على أنها تجري مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعال. فكيف نفسر ذلك؟

يقول سيبويه: "وتقول: لولا خيرا من ذلك، وهلا خيرا من ذلك، أي: هلا تفعل خيرا من ذلك."[٣] ويقول: "ويجوز رفعه على معنى: هلا كان منك خير من ذلك .. قال جرير :

تُعُدّون عَقرَ النيبِ أفضلَ مَجْدِكم بني ضَوْطَرى لولا الكميُّ المقنعا[٤]

ويقول ابن عقيل:"وبقية أدوات التحضيض حكمها كذلك" يقصد حكمها حكم "لولا" و"لوما"، من حيث إنهما يختصان بالفعل. ثم يقول بعد ذلك:".. قد يقع الاسم بعدها- أي بعد حروف التحضيض- ويكون معمولا لفعل مضمر، أو لفعل مؤخر عن الاسم، فالأول كقوله:

ألا رجلا جزاه الله خيرا يدلّ على محصلة تبيت

---

(٢) مفاتيح الغيب : ١٨/٦ .
(٣) الكتاب : ٣١٢/٢ .
(٤) الكتاب : ٣١٢/٢ .

فالتقدم مرفوع بفعل محذوف ، وتقديره : هلا وُجد التقدم."[٥]

ومما جاء اسما بعد "ألا" :

ألا رجلاً جزاه الله خيرا يَدُلُّ على مُحَصَّلَةٍ تَبِيتُ

فإن "رجلاً" منصوب بفعل محذوف - وذلك في بعض تخريجاته ؛ إذ التقدير كما يرى الخليل ابن أحمد: "ألا ترونني رجلاً هذه صفته" فحذف الفعل مدلولاً عليه بالمعنى[٦]. يقول ابن هشام عن تقدير الخليل: "وإضمار الخليل أولى إضمار غيره؛ لأنه لم يُرِدْ أن يدعوَ لرجل على هذه الصفة ، وإنما قصدُه طلبه."[٧]

مما سبق يمكن التقدير في الآية الكريم: ألا تطمعون في نصر الله القريب. إنه لا ريب آتٍ، وإنه لقريب ، لأنه آتٍ.

وعلى ذلك يمكن القول بأن التركيب في هذه الآية الكريمة ، يمكن تفسيره على النحو التالي :

١ - استخدام"ألا" أداة للحض إفادة للطلب في صورة العرض؛ لأنه طلب بلين ورفق، كما قال ابن هشام، وهو ما يناسب الموقف، إذ القول قول المؤمنين، قالوه "على سبيل الاستبطاء؛ إذ ما حصل لهم من الشدة والابتلاء والزلزال ، هو الغاية القصوى. وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام، فقيل ذلك لهم إجابة لهم إلى طلبهم من تعجيل النصر"[٨] فلابد من التناهي في الرحمة واللين.

٢ - العرض بهذه الصورة اللطيفة، يناسبها التأكيد على أن نصر الله قريب مهما تأخر لتهدأ النفوس، وتقر الأعين بنصر طال عليه الانتظار، بعدما رأوا ما رأوا من صنوف الشدة والابتلاء .

---

(٥) شرح ابن عقيل : ٢/٣٩٥-٣٩٦ .
(٦) المغني : ١/٦٩ ، وشرح ابن عقيل / ٢/٣٩٦ وأوضح المسالك : ٤/٢٣٧ .
(٧) المغني : ١/٧٠ .
(٨) البحر : ٢/١٤٠ .

٣ - دلالة العرض في "ألا" على النحو الذي بيناه ، يناسب دلالة التوكيد في "إنّ"، من قبل أنّ التوكيد فيه من "تقوية النسبة وتقريرها في ذهن السامع.. ودفع الشك فيها"[٩].

٤ - معنى"إنّ"– مع أخواتها – يكون في الأخبار. والخبر في الآية قوله : (قريب) فهذا الذي كان يستعجله المؤمنون بعد عناء الانتظار. إنه النصر البعيد القريب.

وعن قوله تعالى: (ألا تُحبُّون أن يَغفرَ اللهُ لكمْ)

يقول الرازي: "قوله : (ألا تحبون أن يغفرَ اللهُ لكم) فإنه سبحانه ذكره بكناية الجمع على سبيل التعظيم ، وأيضاً فإنه سبحانه علق غفرانه له على إقدامه على العفو والصفح، فلما حصل الشرط منه وجب ترتيب الجزاء عليه."[١٠]

ويقول أبو حيان:".. وحين سمع أبو بكر: "ألا تُحبونَ أن يَغفِرَ الله لكم" قال: بلى، أحبّ أن يغفر الله لي، ورد إلى مسطح نفقته، وقال: والله لا أنزعها أبداً."[١١] وقال الفراء: "فقال أبو بكر: بلى يا ربّ. فأعادهم إلى نفقته."[١٢] .

دلالة هذه النصوص، الاستجابة لما تحض عليه الآية الكريم من حث على الإسراع إلى ما كان عليه الأمر، ينضاف إلى ذلك أن الشيخ الرازي جعل الكلام على سبيل الشرط، حيث علق الغفران على الإقدام على العفو. فهذا كلام النحويين، كما رأينا، ليس من قبيل اختصاص حروف الحض بالأفعال حسب، وإنما من قبل أن المسألة متعلقة بالإقبال على الفعل ، ومن ثم كانت الأفعال شركة

---

(٩) الصبان "محمد بن علي الصبان" : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ٢٧٠/١. دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
(١٠) مفاتيح الغيب : ١٦٥/٢٣ .
(١١) البحر : ٤٤٠/٦ .
(١٢) الفراء : أبو زكريا يحيى ت ٢٠٧ هـ" : معاني القرآن : ٢٤٨/٢ ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

بين الحض والشرط .

قد مر أن تحليل الآية الكريمة جاء هكذا :

" ألا" + جملة فعلية

الجملة الفعلية : تحبون + أن يغفر .

وكان يمكن أن تكون : تحبون + المصدر "الغفران".

ولكن المصدر حدث، وحروف الحض لابد لها من زمن، قد يكون ماضيا في معنى المستقبل أو يكون مضارعا مستقبلا. ولذلك قال تعالى: (ألا تُحبون ...). ولما سمع ابو بكر قال: بلى أحب أن يغفر الله لي ، تعليقا على الاستقبال، الزمن الذى سيرى فيه نتيجة الغفران.

إن دلالة "ألا" هنا فى هذه الآية الكريمة على :

١ ـ الطلب المتضمن للحث؛ لأن المقام يقتضى الانتهاء عن منع الإنفاق والعطاء، والإسراع بمبادرة الإنفاق ، وخاصة أن مسطحا من ذوى قربى أبى بكر.هذا ما يتطلب الحث على الفعل ترغيبا فى الغفران الموعود. ولذلك رأينا

"ألا" + الفعل المضارع "تحبون"

وهو فعل مُرغب فى جزاء ، تكون النفس المؤمنة أرغب ما تكون فيه، خاصة حينما يكون الحث عليه من لدن عزيز غفار، تُفعل الخيرات من أجله.

٢- وعلى أولوية المصدر المؤول بعدها (أن + يغفر)، تأكيدا على مقارنة الفعل انتظارا للوعد الموقوت.

وعن قول الله سبحانه : (ألا تُقاتِلونَ قَوْما نكثُوا أيمانَهُمْ .)

قال الشيخ الرازى: "اعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد، فكيف بها حال الاجتماع. أحدها: نكثهم العهد ... وثانيها: قوله:

(وهموا بإخراج الرسول)... وثالثها قوله: (وهم بدءوكم أول مرة) يعني بالقتال يوم بدر."(١٣)

وينقل الرازي عن الواحدي فيقول: "حكى الواحدي عن أهل المعاني أنهم قالوا: إذا قلت: لا تفعل كذا، فإنما يستعمل ذلك في فعل مقدر وجوده، وإذا قلت: ألستَ تفعل، فإنما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده، والفرق بينهما أنّ "لا" يُنفى بها المستقبل، فإذا دخلت عليها الألف صار تحضيضاً على فعل ما يستقبل."(١٤)

ويرى أبو حيان أن"ألا"حرف عرض ، ومعناه هنا الحض على قتالهم. وزعموا أنها مركبة من همزة الاستفهام و "لا" النافية ، فصار فيها معنى التحضيض."(١٥)

بعد عرض هذه النصوص يمكن أن نقول :

١ ـ قد يكون الحض على فعل تكرهه النفس، فلا فكاك لها منه لأنه مكتوب.

٢ ـ هكذا كان الحض على قتال الكفار لتعدد جرائمهم، وإن كان واحد منها كافياً في الحض على قتالهم .

٣ ـ إن هذه الجرائم قد تحقق وجودها يقينا ، فكان الحث على مقاومتها قد أصبح واجبا لا ينبغي التفريط فيه .

بعد هذا يمكن أن نتوصل إلى النتائج الآتية :

أولا: الحض نوع من الطلب يدعى إليه في الاستقبال حسب، وفيه دليل على الحث.

ثانيا: والعَرَض من قبيل الطلب أيضاً، يدعى إليه في الاستقبال، بيد أن فيه ليناً .

---

(١٣) مفاتيح الغيب : ١٥/١٨٧-١٨٨ .
(١٤) مفاتيح الطوم : ١٥/١٨٨ .
(١٥) البحر : ٥/١٦ .

ثالثا: إن الطلب– حضا وعَرْضا – متصل بسبب في الماضي على النحو التالي :

١ - طال صبر المؤمنين في انتظار النصر ، فجاء الحض على التذرع بالصبر ، لأنه آت لا ريب .

٢ - امتنع أبو بكر عن تقديم ما كان يقدم ليمسطح من خير ، فلما علم ترغيب الله في ألا يمنع ، رجع طمعا في المغفرة بعد ذلك .

٣ – تعد جرائم الكفار في الماضي ، دعوة إلى قتالهم .

المبحث الثانى

"لولا"

للولا استعمالات كثيرة. ولولا أننا نقصر الكلام عنها – حرفا للحض والعرض – لطال الحديث عنها ليتسع بحثا مستقلا. يقول ابن هشام عن استعمالات "لولا" الثاني: أن تكون للتحضيض والعرض فتختص بالمضارع أو ما فى تأويله – والفرق بينهما أن التحضيض طلب بحث وإزعاج ، والعرض طلب بلين وتأدب."[1] .

وعن استعمالات لولا فى القرآن الكريم، فقد جاءت بكل معانيها التى تحدث عنها النحاة تقريبا. بيد أنه كان لمعناها فى الحض والعَرْض نصيب وافر فى القرآن ، يفوق بكثير مثيلاتها التى وردت فى القرآن أيضا. وقد رأيت أن أصنف الآيات التى جاءت فيها "لولا" حضا وعَرْضا على النحو التالى :

أولا : <u>[لولا + فعل ماض] :</u>

(لولا أنزل عليه كنز) [هود ١٢] البحر ٢٠٧/٥ البحر ١٢٣/٧

(لولا أخرتنا إلى أجل قريب) [النساء ٧٧] البحر ٢٩٨/٣

(فلولا إذا بلغت الحلقوم ..) [الواقعة ٨٣] البحر ٢١٥/٨

(لولا أخرتنى إلى أجل قريب ..) [المنافقون ١٠] البحر ٢٧٠/٨ ٢٧٤

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة..)[التوبة ١٢٢] البحر ١١٤/٥

(وإذا لم يأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها)[الأعراف ٢٠٣] البحر ٤٥٠/٤

---

(١) المغنى : ٢٠٧٤/٢ ، وانظر معانى القرآن : ٨٥/٢ ، وأوضح المسالك : ١٣٦/٤ .

ثانيا : [لولا + فعل مضارع] :

(لوْلا يُكلمُنا اللهُ أوْ تأتينا آيَةٌ) [البقرة ١١٨] البحر ٣٦٦/١

(لوْلا يَأتون عَليهِم بسُلطانٍ بَيّن) [الكهف ١٥] البحر ١٠٦/٦

لوْلا تَستَغفِرُون الله لعلكم تُرْحَمُون) [النمل ٤٦] البحر ٨٢/٧

(فلوْلا تُصدقون ..) [الواقعة ٥٧] البحر ٢١١/٨

(فلوْلا تَذكرُون) [الواقعة ٦٢] البحر ٢١١/٨

أولاً : [لولا + فعل ماض] :

قوله تعالى : (لوْلا أنزلَ عليْهِ كَنزٌ)

يقول الشيخ الرازى: ".. فكأن القوم قالوا: إن كنت صادقا فى أنك رسول الإله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ.. فهلا أنزل عليك ما تستغنى به وتغنى أحبابك من الكد.. وإن كنت صادقا فهلا أنزل الله معك ملكا يشهد لك على صدق قولك .."[٣]. ويقول أبو حيان: "... لولا أنزل عليه كنز، هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة، ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه."[٤]

جاءت "هلا" عند الرازى وأبى حيان للدلالة على الحض، مما يجعل "لولا" هنا حضا لا تنصرف إلى غير هذا المعنى. وكان الحض متعلقا بما اقترحوه من إنزال الكنز والملائكة، "ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه."[٥] والفعل "أنزل" ماض مبنى للمجهول، للدلالة على التعجيز، من قبل إنزال الكنز من السماء على خلاف العادة ، "فإن الكنوز إنما تكون فى الأرض."[٦]

(٣) مفاتيح الغيب : ١٥٥/١٧ .
(٤) البحر : ٢٠٧/٥ .
(٥) البحر : ٥ : ٢٠٧ .
(٦) البحر : ٢٠٧/٥ .

على أن الفعل "أنزل" يمكن تأويله بالمستقبل، لأنهم لما اقترحوا الإنزال من السماء، كان اقتراحهم معلقاً على الاستقبال. ومن ثم ارى أن دلالة حروف الحض على المعنى الذى سُميت به، يجب أن تكون على هذه الصورة:

أىّ حرف من هذه الحروف + معنى الاستقبال

دليل على معنى الحض فى الحرف

وذلك أقيس من أن نقول :

حرف + فعل مضارع

لأننا وجدنا الحرف + الفعل الماضى فيه دلالة الحض.

إذا كان الماضى محمولا على المستقبل ، كما رأينا فى هذه الآية الكريمة.

وما ازعمه هنا أن الحض فى مثل هذه الآية الكريمة ، هو من قبيل الحث على طلب الفعل مع إظهار التعنت طلباً للتعجيز .

وقوله تعالى : (لولا أخرتنا إلى أجل قريب)

يقول الزمخشرى عن هذه الآية الكريمة: "... استزادة فى مدة الكف، واستمهال إلى وقت آخر .."[٧].ويقول الرازى:".. أى هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا !."[٨]. فهلا دليل الحض. يؤكد هذا قول أبى حيان:"ولولا للتحضيض، بمعنى: هلا، وهى كثيرة فى القرآن. والأجل القريب هنا، هو موتهم على فراشهم."[٩]

فى الآية : لولا + فعل ماض

حض على الترك ليموتوا بآجالهم على فراشهم؛ إذ الماضى هنا فى معنى الاستقبال؛ لأن تركهم ليموتوا. إنما يكون فى الاستقبال .

---

(٧) الكشاف : ٥٣٦/١ .
(٨) مفاتيح الغيب : ١٤٩/١٠
(٩) البحر ٢٩٨/٣

وبعد ذلك يمكن أن نسجل ما يأتى :

أ - الحض هنا من قبيل العرض بلين ، وإن كان صادرا من منافقين ، ذلك أنهم يتطلعون إلى :

١ - استزادة فى مدة .

٢ - واستمهال إلى وقت .

ب - إذا كان الأمر كذلك فإننا نقول : من أغراض الحض والعرض :

- الاستزادة فى طلب الفعل .
- والاستمهال فيه .

وربما أكد هذا أن الفعل الذى يطلبه "لولا" يعد مُتعلقا لشبه الجملة الذى جاء بعده. هكذا أخرتنا ← إلى أجل قريب

فيتطلب "لولا" الفعل "أخر" دالاً على الاستقبال وهو ماض.

ويطلب الفعل "أخر" دلالة الزمن المحضوض عليه المتمثلة فى شبه الجملة:

[إلى أجل قريب]

ومثل هذه الآية قوله تعالى فى سورة (المنافقون): "ربِّ لولا أخَّرتنى إلىَ أجَلٍ قريبٍ)[١٠] يقول عنها أبو حيان: "لولا أخرتنى: أى هلا أخرت موتى إلى زمان قليل."[١١]

وقوله: (فلولا إذا بلغت الحلقوم)

يقول الرازى : "المراد من كلمة "لولا" مضى "هلا" من كلمات التحضيض...أى : لِمَ لا يقولون عند الموت وهو وقت ظهور الأمور وزمان اتفاق الكلمات، ولو كان ما يقولونه حقا ظاهرا كما يزعمون لكان الواجب أن

---

(١٠) [المنافقون ١٠] .
(١١) البحر : ٨/٢٧٤ .

يشركوا عند النزع... إشارة إلى أن الله تعالى ذكر للكفار حالة لا يمكنهم إنكارها، وهى حالة الموت. فإنهم وإن كفروا بالحشر وهو الحياة بعد الموت، لكنهم لم ينكروا الموت، وهو أظهر من كل ما هو من مثله، فلا يشكون فى حالة النزع، ولا يشكون فى أنّ فى ذلك الوقت لا يبقى لهم لسان ينطق، ولا إنكار يعمل فتفوتهم قوة الاكتساب لإيمانهم ولا يمكنهم الإتيان بما يجب، فيكون ذلك حثاً لهم على تجديد النظر فى طلب الحق فى تلك الحياة ."[١٢]

إن عجز المفكرين بيّن فى عدم قدرتهم على إرجاع الروح وقت النزع؛ ولذلك نقل أبو حيان عن الزمخشرى قوله: ".. ترتيب الآية : فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين."[١٣] وهنا نسجل هذه الخواطر:

أولا : "لولا" + ظرف لما يستقبل من الزمان "إذا" حثٌ على النظر فى أمر إنكارهم ، فى وقت تخرس فيه ألسنتهم عن اللجج والعناد. فكأن :

[لولا + إذا]

تركيب يفيد التقييد بوقت بلوغ الحلقوم.

ثانياً : الفعل الماضى"بلغت" بعد "إذا" إشارة إلى انتفاء الشك فى مجئ هذا اليوم، فهو آت لا ريب، فكان التعبير بلفظ الماضى .

ثالثا : النتيجة فى النهاية انتفاء القدرة لدى أربابهم عن رجوع الروح، ومن ثمّ فهم مقهورون، لا قدرة لهم. وربما قوّى هذا المعنى تعلق الظرف (إذا) بـ"ترجعونها" الذى قدره الزمخشرى .

وعن قوله تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائِفَةٌ)

يقول الشيخ الرازى :"... لولا إذا دخل على الفعل ، كان بمعنى التحضيض

---

(١٢) مفاتيح الغيب : ١٧٣/٢٩ .
(١٣) البحر : ٢١٥/٨ .

مثل "هلا". وإنما جاز أن يكون "لولا" بمعنى"هلا" ، لأن "هلا" كلمتان: هل وهو استفهام وغرض ... و"لا" وهو جحد .."(١٤)

يفهم أن "النفر" هو الفعل المندوب إليه. والمقصود للتفقة فى دين الله. يقول أبو حيان: ".. وعلى قول ابن عباس، يكون الضمير فى"ليتفقهوا"عائداً على الطائفة المقيمة مع النبى صلى الله عليه وسلم.. ولينذروا قومهم، أى ؛ الطائفة النافرة إلى الغزو، يعلمونهم بما تجدد من أحكام الشريعة ، وكان ثمّ جملة محذوفة دل عليها تقسيمها، أى: فهلاّ نفر من كل فرقة منهم طائفة ، وقعدت أخرى ليتفقهوا ... والذى يظهر أن هذه الآية إنما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه فى دين الله."(١٥)

ففى الآية الكريمة :

أ - [لولا + فعل ماض (نفر)]

الفعل الماضى فى معنى الاستقبال ، لأن الأمر تنبيه على أنه إذا حدث"النفر" فينبغى أن يكون الأمر على النحو الذى تقدم.

ب - الفعل الماضى "نفر" جاء بعده شبه الجملة يتعلق بهذا الفعل.

ج - دلالة التعلق ، اختصاص الفعل بطائفة تكفى الجماعة عن الفعل.

د - إن مجئ الفعل الماضى بعد "لولا" دليل على أن الفائدة لم تكن تحصل إلا بعد مدة. "فكأن لو سافرتم لحصل لكم الفائدة فى الحال، وقد فات ذلك فإن كنتم لا تسافرون فى الحال تفوتكم الفائدة أيضا فى الاستقبال."(١٦)

وقوله: (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها)

---

(١٤) مفاتيح الغيب : ١٦/١٨٠ .
(١٥) البحر : ٥/١١٤ .
(١٦) مفاتيح الغيب : ٢٩/١٥٣-١٥٤ .

يقول الرازى:".. والمعنى لولاتقولتها وافتعلتها وجئت بها من عند نفسك ... لو يقال: هلا اقترحتها على إلهك ومعبودك إن كنت صادقا.."[١٧] إنه يقيس "لولا" على"هلا" إيماءً إلى أن"لولا"حضٌ على مقارفة فعل ما. ويقول ابوحيان:"روى أن الوحى كان يتأخر عن النبى صلى الله عليه وسلم أحياناً، فكان الكفار يقولون: هلا اجتبيتها ومعنى اللفظة فى كلام العرب: تخيرتها واصطفيتها. وقال ابن عباس ومجاهد وقتاده وابن زيد وغيرهم: المراد هلاّ اخترعتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك."[١٨]

نلاحظ هنا ما يلى :

اولا : [لولا + فعل ماض "اجتبى"].

ثانيا : الفعل الماضى فى معنى الاستقبال بدلالة كلام الكفار، "هلا"اقترحتها، فهو من قبيل العرض الذى ينطوى على سوء النية، لكى يواطئوا به إفكهم المفترى.

ثانيا : [لولا + فعل مضارع] :

قوله تعالى : (لوْلا يُكلمُنا الله أوْ تأتينا آية)

يقول الشيخ الزمخشرى:"هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى؟ استكبارا منهم وعتوا"[١٩]ويقول الشيخ الرازى:"وهذا منهم طعن فى كون القرآن آية ومعجزة لأنهم لو أقروا بكونه معجزة لاستحالوا أن يقولوا: هلا يأتينا بآية .."[٢٠] ويقول أبو حيان: "ومعمول القول الجملة التحضيضية ، وهى "لولا يكلمنا الله"، كما يكلم الملائكة ، وكما كلم موسى عليه السلام ... قالوا ذلك على طريقة

---

(١٧) مفاتيح الغيب : ٨٢/١٥ .
(١٨) البحر : ٤٥١/٤ .
(١٩) الكشاف : ١٨٢/١ .
(٢٠) مفاتيح الغيب : ٢٧/٤ .

الاستكبار والعتو، لو تأتينا آية ، أي: هلا يكون أحد هذين: إما التكلم، وإما إتيان آية .."[٢١]

كان هلا أصل الباب، ألا ترى أنها مقيس عليها في الحض؟، فقال الزمخشري هلا يكلمنا... وقال الرازي: هلا يأتينا.. وقال أبو حيان: هلا يكون. وهكذا على أن استعمال الفعل المضارع"يكلمنا" تصوير لحقيقة التكليم عندهم، إذ هو استمرار لما قاله السابقون من الأمم المكذبة من أسلافهم وغيرهم . وإن قولهم هذا لا يخلو من أن يكون استكباراً وعتواً، واستكباراً يجحد أن يكون ما أتاهم آية.

ومن الممكن أن نستنتج بعد ذلك ما يأتي :

أولا : أن ["لولا" + الفعل المضارع] حض على فعل مستحيل بالنسبة لهم .

ثانيا : أن علمهم باستحالة وقع ، لأنه قول من سبقهم ، ومن ثم لا يكون طلبهم إياه إلا من قبيل الإنكار والجحود .

ثالثا : أن الجملة التخصصية وقعت مقول القول ؛ لأن قبلها : (وقَالَ الَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمنا اللهُ ..) .

وقوله : (لولا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ)

يقول أبو حيان: "ولولا تحضيض صحبة الإنكار ، إذ يستحيل وقوع سلطان بيّن على ذلك فلا يمكن فيه التحضيض الصِّرف ، فحضوهم على ذلك على سبيل التعجيز لهم."[٢٢]

ويقول الرازي: "لولا يأتون – هلا يأتون .. بحجة بينة.. ومعنى الكلام أن عدم البينة بعدم الدلائل على ذلك لا يدل على عدم المدلول... إنه تعالى استدل على عدم الشركاء والأضداد بعدم الدليل عليها، فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل

---

(٢١) البحر : ٣٦٦/١ .
(٢٢) البحر : ١٠٦/٦ .

على عدم المدلول طريقة قوية."[٢٣] ويقول ابن كثير: "أى : هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً ."[٢٤]

لولا + الفعل المضارع "يأتون"

في هذه النصوص التى قدمنا "لولا" حرف تحضيض. كما يتبين لنا ما يلى :

١ - قد يكون التحضيض على مستحيل من قبيل التعجيز ، لأن هذا النوع من الحض من لدن الخالق .

٢ - كما يكون من قبيل الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول .

٣ - إن قول أبى حيان بأنه ليس تحضيضا صرفاً ، يعنى أن التحضيض :

أ - فعل لم يحدث .

ب - وأن هذا الفعل حدوثه ممكن ، ومن ثمّ يكون الحض عليه .

٤ - إنّ ["لولا" هنا + الفعل المضارع "يأتون] دليل على طلب الحجة والبينة .

٥ - ومن ثم تعلق "بسلطان" بـ"يأتون" .

٦ - وتعلق "عليهم" بمحذوف حال، أى حال كون البينة عليهم .

وقوله: (لولا تستغفرون الله ..)

يقول الرازى:"... فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم، وقال: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر."[٢٥]

ويقول أبو حيان: "ثم حضهم على ما فيه درء السيئة عنهم وهو الإيمان واستغفار الله مما سبق من الكفر، وناط ذلك بترجى الرحمة ، ولم يجزم بأنه يترتب على استغفارهم. وكان في التحضيض تنبيه على الخطأ منهم في استعجال

---

(٢٣) مفاتيح الغيب : ٨٤/٢١ .
(٢٤) تفسير القرآن العظيم :٧٤/٢ .
(٢٥) مفاتيح الغيب : ١٧٣/٢٤ .

العقوبة وتجهيل لهم في اعتقادهم."[٢٦]

المحنا قبل ذلك إلى أن الحض متصل بسبب في الماضي..نقول ذلك لأن "لولا" في هذه الآية الكريمة جاءت تعليقا على فعل سبق، وهو استعجال قوم صالح بالسيئة قبل الحسنة، ولذلك قال لهم صالح عليه السلام(لولا تستغفرون ..). يقول ابن كثير معلقا على هذا: ".. أي لما تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته."[٢٧]

من النصوص السابقة يمكن تسجيل ما عنّ من نظر :

١ - من الحض التنبيه على شئ ما قد حدث .

٢ - ثم يكون الحث على استدراك ما فات مع بيان ما يمكن أن يكون .

٣ - "لولا" + الفعل المضارع .

حضّ مع ترجي حدوث الفعل، ومن ثم جاء بعدها "لعل" ولذلك يكون هذا التركيب :

["لولا" + الفعل المضارع + لعل] .

دلالة على هذا المعنى... معنى الحض المنوط بالرحمة .

وقوله تعالى: (فلولا تصدقون)

يقول ابن كثير: "... أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى؟ ولهذا قال: (فلولا تصدقون)، أي فهلا تصدقون بالبعث؟ "[٢٨]

ويقول الرازي: "لولا" كلمة مركبة من كلمتين معناهما التحضيض والحث... لكن "لولا" تدل على الاعتساف وتزيد نفي النظر والتواني، فيقول: (لولا

---

(٢٦) البحر : ٨٢/٧ .
(٢٧) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٧/٣ .
(٢٨) تفسير القرآن العظيم : ٢٩٥/٤ .

تصدقون)، بدل قوله : لم لا ، وهلا ، لأنه أدل على نفي ما دخلت عليه وهو عدم التصديق .."[٢٩]

ويقول أبو حيان: "فلولا تصدقون بالإعادة وتقرون بها، كما أقررتم بالنشأة الأولى وهي خلقهم... فهو حض على التصديق. ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله، أو فلولا تصدقون به، ثم حض على التصديق على وجه تقريعهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق"[٣٠]

هذه النصوص فيها من النظر ما هو آت :

أولا : الحض والحث على أمر لا ينبغي التوانى فيه.

ثانيا : [لولا + الفعل المضارع "تصدقون"] نفي للفعل.

ثالثا : إن هذا التركيب الذى أمامنا فيه إضافة كذلك إلى أحوال لولا مع الفعل المضارع ، فهو لا ينفك عن تقريع – كما قال أبو حيان – عن طريق سياق الحج المؤدية للتصديق .

رابعا : لعل هذا النظر يؤكد ما قلناه من أن الحض يكون متصلاً بسبب من الماضي، يدفع إلى قول يكون في الاستقبال على سبيل الحث المنوط بوجه من وجوه الكلام: تنبيها، أو تقريعا / أو حثا، أو ما شابه ذلك من هذه الأوجه.

وكذلك في قوله : (فلولا تذكرون)

فهو "حض على التذكير المؤدى إلى الإيمان، والإقرار بالنشأة الآخرة"[٣١].

فهنا وجه من وجوه الكلام المصاحب لـ"لولا"، هو التذكير والإقرار بشئ ما .

---

(٢٩) مفاتيح الغيب : ١٥٣/٢٩ .
(٣٠) البحر : ٢١٠/٨-٢١١ .
(٣١) البحر : ٢١١/٨ .

المبحث الثالث

أ - "لوما"

لم يرد ذكر "لوما" في النص الكريم إلا مرة واحدة. وذلك في قوله تعالى :

(لو ما تأتينا بالملائكة) [الحجر ٧]

نقل الرازي عن الزجاج والفراء أن "لولا ولوما لغتان معناهما هلا.."[١].

وذكر الرازي أيضا "أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يخوفهم بنزول العذاب إن لم يؤمنوا به، فالقوم طالبوه بنزول العذاب وقالوا له (لو ما تأتينا بالملائكة) الذين ينزلون عليك ينزلون علينا بذلك العذاب الموعود."[٢] .

ويقول أبو حيان: "وهذا الوصف بأنه الذي نزل عليه الذكر، قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لأنهم لا يقرون بتنزيل الذكر عليه، وينسبونه إلى الجنون، إذ لو كان مؤمنا برسالة موسى وما أخبر عنه بالجنون، ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين لصدقك وبصحة دعاك."[٣]

لعل هذه النصوص تظهر لنا ما يلي :

أولا: إن "لوما" لغة في "لولا"، ولذلك قال الفراء: "الميم في "لوما" بدل من اللام في"لولا". وقال الكسائي: لولا ولوما سواء في الخبر والاستفهام."[٤] ولكونها لغة في"لولا"، جاز أن تكون هذه اللغة غير شائعة إلا في أهلها، ومن ثم لم نجد لها إلا هذا الموضع من الآية الكريمة .

ثانيا: الحض في هذه الآية قد يكون على سبيل العرض والاقتراح ، استهزاءً واستخفافاً .

---

(١) مفاتيح الغيب : ١٢٦/١٩ .
(٢) مفاتيح الغيب : ١٢٦/١٩ .
(٣) البحر : ٤٤٦/٥ . وانظر أيضا معاني القرآن : ٨٤/٢ .
(٤) الشوكاني "محمد بن علي ت ١٢٥٠ هـ" : فتح القدير : ٩٧٧/١ ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر

ثالثا: إذا كان تركيب : [لوما + الفعل المضارع فى "تأتينا"]

تجسيداً لصورة التنزيل التى يتخيلونها .

رابعا: وكان بمثابة الأمر أيضا ، فكأنهم قالوا : "ائتنا" .

ب - "هلا"

كأنى أرى "هلا" لمّا فى الباب ، على الرغم من عدم ورودها فى القرآن الكريم. والذى جعلنى أقول هذا، أن المفسرين كانوا يقيسون عليها بقية حروف التحضيض فى مواضع كثيرة، ذكر بعضها فى البحث كما رأينا. وذاك نحو :

١ - قول ابن كثير معلقا على قوله تعالى: (فلولا تصدقون) : أى فهلا تصدقون.

٢ - ويقول الرازى: "هلا تستغفرون الله"، وهو يفسر معنى "لولا" فى قوله (لولا تستغفرون الله) .

٣ - وكذلك قول الرازى: "لولا يأتون عليهم -- هلا يأتون.." ويقول ابن كثير: "أى هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا" .

هذه بعض المواضع التى جاءت فى البحث ، فكيف بما وقعت عليه العين، وهى تطالع هنا وهناك فى كتب التفاسير ، ولم نثبتها لتشابهها مع ما ذكر .

على أن كتب النحو قد قدمت بعض النصوص المتضمنة "هلا".

فذكر فى شرح ابن عقيل قول من لا يُعرف قائله:

ألاَن تبْدَ لجَاجَتِى تَلحُونَنِى هَلا التَّقدُّمُ والقلوب صِحَاحُ

جاء بعد "هلا" اسم . والتقدير : هَلا وجد التقدم .

وذكر ابن هشام أنه "قد يلى حرفَ التحضيض اسم معلّق بفعل : إما مضمر، نحو: "فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك" أى : فهلا تزوجت بكرا ..."[٥]. وهـذا الحديث موجود فى صحيح البخارى بسند عن جابر بن عبد الله ، قال : قفلنا مع

---

(٥) أوضح المسالك : ٤/٢٣٧-٢٣٨ .

النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة فتعجلت على بعير لي قطوف فلحقني راكب من خلفي فنخس بعيري بعنزة كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راءٍ من الإبل، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما يعجلك ؟ قلت كنت حديث عهد بعرس. قال"أبكرا أم ثيبا، قلت: ثيبا ، قال: فهلا جحارية تلاعبها وتلاعبك؟ .."[٦]

خلاصة القول في "هلا" أنها مركبة من:"هل" و"لا"."هل" للدلالة على الاستفهام والعرض، و"لا" في معنى الجحد، فيكون معنى التركيب متضمنا للحض على ما يلزم فعله ، وعلى عدم الإخلال به. كما أشرنا إلى ذلك في مدخل البحث.

الخاتمـــة

لم يكن الدرس في أدوات الحض من السهولة بحيث يُظن أننا أمام حروف لم يتوقف عندها النحاة كثيرا، ومن ثم لم تتجاوز الصحيفة الواحدة في مصنفات بعضهم. وإنما كان الأمر مختلفا من قبل أننا تناولنا هذه الأدوات بالدرس والتحليل من خلال النصوص القرآنية الكريمة، وموقف بعض المفسرين مِّن هذه الأدوات وهم يتأولون معناها ودلالاتها في مواضعها المختلفة على النحو الذي رأينا ، فضلاً عن دراستها في الجمل المختلفة .

على أننا يمكن أن نقدم ما قد يُعد دليلاً على أهمية هذه الدراسة من خلال النتائج التي توصلت إليها ، وذلك على النحو التالي :

أولا:إن أهم ما توصلت إليه الدراسة – فيما أرى – أن بعض الدرس النحوي في حاجة إلى تأصيل من خلال ما يفهمه المتفقهة المشتغلون بالنص الكريم . وقد تراءى ذلك – على سبيل المثال – من خلال ما ظهر لنا من بون شاسع بين ما ذهب إليه النحاة والمفسرون في الربط بين مباني هذه الأدوات ومعانيهـــــ على

(٦) البخاري "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦" : صحيح البخاري : ٢٦٩/٣ ، دار بن خلدون – الإسكندرية .

الوجهة التى قدمناها فى مدخل الدراسة .

ثانيا:إننى أزعم ان "هلا" يمكن أن تكون أما فى باب الحض ، إذا جاز هذا القول. وذلك اننى رايت النحاة والمفسرين يقيسون عليها ، إذا أرادوا أن يؤكدوا على معنى الحض فى أداة من أدواته .

ثالثا: ما قد يكون سببا فى زعمنا بأن "هلا" كالأم فى الباب لكثرة استعمالها، ربما صدر عن فهمنا لكلام الشيخ الرازى، الذى جعل هذا الحرف مبنيا من:

أ -"هل" للدلالة على الاستفهام والعرض، تنبيها على وجوب الفعل.

ب - ومن "لا" دلالة على الجحد ، ومن ثمَّ يكون التنبيه على الإخلال بالفعل الواجب. من هنا كان معنى الحض على ما وجب فعله وحصل معه الإخلال فى الأداء. وأظن ان كثيرا من هذا المعنى ينسحب على بعض ما رأينا من معانى السياقات التى وردت فيها أدوات الحض.

رابعا: الحَض نوع من الطلب ، يدعى إليه فى الاستقبال حسب . وفيه دليل على الحث، كما أن العرض من قبيل الطلب ايضا ، بيد أن فيه لينا .

خامسا: اقتراح بأن نقول :أى حرف حض + معنى الاستقبال

دليل على معنى الحض فى هذا الحرف ، وذلك لأننا وجدنا الماضى يُحمل على معنى الاستقبال .

سادسا: مصاحبة بعض المعانى للحض، نحو: التعنُّت، وطلب التعجيز ، واستمهال الوقت ، وغير ذلك مما نطالعه فى البحث .

سابعا: اتصال الحض بسبب من الماضى ، يدفع إلى قول يكون فى الاستقبال على سبيل الحث المنوط بوجه من وجوه الكلام .

ثامنا : ربما كانت "لوما" لغة فى "لولا" ، كما ذهب الفراء ، مما عساه يفسر ندرة استعمالها فى النص الكريم .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦هـ) :
صحيح البخاري ، دار ابن خلدون – الإسكندرية .
- ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان ت ٦٤٦هـ) :
شرح الكافية ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- أبو حيان (محمد بن يوسف ت ٧٥٤هـ) :
البحر المحيط ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .
- الرازي (فخر الدين ت ٦٠٤هـ) :
مفاتيح الغيب – الطبعة الأولى ١٩٩٠م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ) :
الكشاف – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
- سيبويه (أبو بشر عمرو ت ١٨٨هـ) :
الكتاب – الطبعة الأولى ١٣١٦هـ – بولاق – مصر .
- الشوكاني (محمد بن علي ت ١٢٥٠هـ) :
فتح القدير – الطبعة الأولى ٢٠٠٣م – دار الغد الجديد – المنصورة .
- الصبان (محمد بن علي الصبان) :
حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .
- طاهر سليمان حمودة (الدكتور) :
دراسة المعنى عند الأصوليين – الدار الجامعية للطباعة والنشر – الإسكندرية .
- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٦٩هـ) :
شرح ابن عقيل – بدون دار نشر و لسنة طبع .
- الفراء (أبو زكريا يحيى ت ٢٠٧هـ) :
معاني القرآن – تحقيق الأستاذ محمد علي النجار – الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الفيروز بادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) :
القاموس المحيط – الطبعة الثانية ١٩٩٢م – البابي الحلبي – مصر .
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين ت ٧٧٤هـ) :
تفسير القرآن العظيم – دار التراث العربي – القاهرة .
- ابن هشام (جمال الدين ت ٧٦١هـ) :
أوضح المسالك – منشورات المكتبة العربية – صيدا – بيروت .
المغني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح – القاهرة .
- ابن يعيش (موفق الدين ت ٦٤٣هـ) :
شرح المفصل – مكتبة المثنى – القاهرة .

في أدوات التحضيض
د. سعد حسن حمودة